

{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } * { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } * { سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } * { وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } * { فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } (5-1)

معنى { تَبَّتْ } هلكت وخسرت، ومنه قوله - تعالى - :-

{ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ }

وقوله - سبحانه - :-

{ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ }

وقوله: { وَتَبَّ } أى: وقد تب وهلك وخسر، فالجملة الأولى دعاء عليه بالهلاك والخسران، والجملة الثانية: إخبار عن أن هذا الدعاء قد استجيب، وأن الخسران قد نزل به فعلا.

أى: خسرت وخابت يدا أبي لهب، وقد نزل هذا الهلاك والخسران به، بسبب عداوته الشديدة للحق، الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عنده - سبحانه - .

والمراد باليدين هنا: ذاته ونفسه، من باب إطلاق الجراء وإرادة الكل، كما فى قوله - تعالى - :-

{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ }

ويجوز أن يكون المراد باليدين حقيقتهما، وذلك لأنه كان يقول: يعدنى محمد صلى الله عليه وسلم بأشياء، لا أدرى أنها كائنة، يزعم أنها بعد الموت، فلم يضع فى يدى شئ

من ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما ما أرى فيكما شيئا.

وقوله - سبحانه - { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } كلام مستأنف للانتقال من ذمه والدعاء عليه بالهلاك، إلى بيان أن ماله وجاهه.. لن يغني عنه من عذاب الله - تعالى - شيئا.

أى: أن أبا لهب لن يغني عنه ماله الكثير، وكسبه الوفير من حطام الدنيا.. لن يغني عنه شيئا من عذاب الله - تعالى -، أو شيئا من انتشار رسالة الله - تعالى - في الأرض، فإن الله - سبحانه - ناصر نبيه صلى الله عليه وسلم ومؤيده بروح منه.

والتعبير بالماضى في قوله: { مَا أَغْنَىٰ... } لتحقيق وقوع عدم الإغناء.

والراجع أن " ما " الأولى نافية، والثانية موصولة، أى: ما أغنى عنه شيئا ماله الذى ورثه عن أبيه، وأيضا ما أغنى عنه شيئا ماله الذى جمعه واكتسبه هو بنفسه عن طريق التجارة وغيرها.

وقوله - سبحانه - : { سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } بيان للعاقبة السيئة التى تنتظره، بعد هذا الدم والتأنيب والوعيد. أى: سيلقى بأبى لهب فى نار شديدة الحرارة، تشوى الوجوه والأبدان، ووصف - سبحانه - النار بأنها " ذات لهب " لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وكفره، إذ هو معروف بأبى لهب، والنار موصوفة بأنها ذات لهب شديد.

ثم أعقب - سبحانه - ذلك، بدم زوجه التي كانت تشاكره العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: { وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ }.

وقوله: { وَأَمْرَأَتُهُ } معطوف على الضمير المستتر العائد على أبي لهب في قوله { سَيِّضَلِي } ، وانتصاب لفظ " حمالة " على الذم بفعل مضمر، لأن المقصود به هنا الذم، وقرأ الجمهور { حَمَّالَةٌ } - بالرفع - على أنه صفة لها، أو خبر لمبتدأ مخوف، أى: هي حمالة الحطب.

والمقصود بقوله - تعالى - { حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } الحقيقة، فقد روى أنها كانت تحمل بنفسها حزمة الشوك والحسك والسعدان، فتنثرها بالليل في طريقه صلى الله عليه وسلم، لإيذائه به، ويصح أن يكون المراد بهذه الجملة الكناية عن مشيها بين الناس بالنميمة، وإشاعة السوء حول الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يقال لمن يمشى بالنميمة ليفسد بين الناس، إنسان يحمل الحطب بين الناس، أى: أنه يفسد بينهم.

ويصح أن يكون المقصود بهذه الجملة، حملها للذنوب والخطايا، من قولهم: فلان يَحْطِبُ على ظهره، إذا كان يكتسب الذنوب والخطايا، فاستعير الحطب لذلك.

وقد رجح الإمام ابن جرير القول الأول، لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله - سبحانه - : { فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } زيادة في تبشيع صورتها، وتحقير

هيئتها.

والجيد: العنق، والمسد: الليف المتين الذى فتل بشدة، يقال: حبل ممسود، أى مفتول فتلا قويا.

والمعنى: سيصلى أبو لهب نارا شديدة، وستصلى معه امرأته التى تضع الشوك فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم هذه النار المشتعلة - أيضا -، وسيزيد الله - تعالى - فى إذلالها وتحجيرها، بأن يأمر ملائكته بأن تضع فى عنقها حبلا مفتولا فتلا قويا، على سبيل الإذلال والإهانة لها، لأنها كانت فى الدنيا تزعم أنها من بنات الأشراف الأكابر.

روى عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان لها قلادة ثمينة فقالت: لأبيعتها ولأنفقت ثمنها فى عدوة محمد صلى الله عليه وسلم فأبدلها الله عنها حبلا فى جيدها من مسد النار.

والذى يتأمل هذه السورة الكريمة، يراها قد اشتملت على أوضح الأدلة وأبلغ المعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه، فإن الله - تعالى - قد أخبر بشقاء أبى لهب وامرأته، وأنهما سيصليان نارا ذات لهب.. وقد علما بما جاء فى هذه السورة من عقاب الله لهما.. ومع ذلك فقد بقيا على كفرهما حتى فارقا الحياة، دون أن ينطقا بكلمة التوحيد، ولو فى الظاهر - فثبت أن هذا القرآن من عند الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن ربه - عز وجل -.

نسأل الله - تعالى - أن يلحقنا بعباده الصالحين.

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم.